بلاغة المزج الضمائري
في الشعر الوطني عند الشاعر/ عبد الرحيم زلط[1]

إعداد
نجوى إبراهيم عبد المنعم

إشراف:
أ.د/ حسن أحمد البندارى
أستاذ البلاغة والنقد الأدبى
بكلية البنات – جامعة عين شمس

معاونة:
د/ نعيمة مراد
مدرس الأدب العربي بكلية البنات – جامعة عين شمس

[1] أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب – جامعة طنطا وعميدها الأسبق.

مقدمة:

تعد الضمائر من أهم الأدوات الفنية التي يعمد إليها الشاعر ليعبر عن تجربته الشعرية لكي يضفي بعضًا من الحيوية والحركة على الأداء الشعري، ويريد الشاعر بذلك كسر حاجز الملل والرتابة في الأداء فيلجأ إلى الاثارة والتشويق بتوظيف المزج الضمائري.

فالضمير يحل محل الاسم العائد له، من حيث إنه يغني "عن ذكر الاسم ويقوم مقامه"[١]، فيصبح الكلام حينئذ غير مباشر ولكنه يدل على المباشرة بالتعويض بالضمائر، وهذا التعويض يزيد من الإثارة لترقب ما هو آتٍ وعلى الأخص عندما تستخدم الضمائر بنهج تبادلي، ذلك أن الضمير يعطى دلالة الحضور أو دلالة الغياب فهو "لا يستقل بالمعنى أبدًا، وإنما يقوم بأداء مهمته الإنتاجية عند حضور المرجع"[٢].

وحين يجد المتلقي ضميرًا في النص الشعري فإن ذلك يدفعه للقيام بالبحث في معنى النص حتى يجد ما هو غائب، ويزيد هذا من قيمة اللغة الشعرية في النص.

وتتنوع صيغ الضمائر؛ فمنها ما هو (متكلم، ومنها ما هو مخاطب، ومنها ما هو غائب)، وأيضا منها ما يشير إلى (الإفراد، أو إلى التثنية، أو إلى الجمع)، ومنها ما هو (متصل، أو منفصل).

وهنا تكمن براعة الشاعر وإبداعه في حسن توظيف الضمائر بحسب الدلالة المراد التعبير عنها في جوهر المعنى العام المراد لنصه الشعري مما يلفت انتباه المتلقي ويجذبه إليه.

ويهدف هذا البحث إلى بيان بلاغة استخدام الشاعر للضمائر بنهج تبادلي، أي أنه يختار ضميراً معيناً في نصه الأدبي، ثم يتنقل منه إلى ضمير آخر عائد على الشيء نفسه ليساعده في التعبير عن رؤيته الفنية وهدفه العام من القصيدة.

فالتنقل والتبادل بين الضمائر يُعد التفاتًا، ومن صوره "التحول من التكلم إلى الخطاب إلى الغيبة، والتحول من الخطاب إلى التكلم أو إلى الغيبة، وكذلك التحول من الغيبة إلى التكلم أو إلى الخطاب"[٣].

ومن منطلق هذه الفكرة يمكن دراسة الجانب الوطني عند الشاعر "عبدالرحيم زلط" بالتحليل لإبراز قضاياه وتوضيح دلالته الفنية والمعاني التي يعبر بها بضمائر مختلفة في نصه الشعري بنهج تبادلي. وقد برز ذلك في صور فنية تضمنها ذلك البحث وهي (المزج بين ضمير الغائب وضمير المخاطب، والمزج بين ضمير المتكلم والمخاطب، والمزج بين ضمير الغائب وضمير المتكلم، والمزج بين ضمير المتكلم وضمير الغائب).

الصورة الأولى:

المزج بين ضمير الغائب وضمير المخاطب:

في هذه الصورة يمزج الشاعر بين صيغتي الغيبة والخطاب، تأثراً بقول الله سبحانه وتعالى (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا)[٤].

إذا نظرنا إلى الآية الكريمة نجد (قالوا) أسلوب غيبة تقديره هم . ثم نجد كلمة (جئتم) هي صيغة خطاب تقديرها (أنتم) والاثنتان عائدتان على الكفار.

---

[١] حلمى محمد عبدالهادى:الهادى فى قواعد اللغة العربية– دار الفكرالعربي ١٩٨٧ ص٣٧.

[٢] د محمد عبدالمطلب –مناورات شعرية– دارالشروق–ط١– ١٩٩٦م ص ١٦

[٣] – د فتح الله أحمد سليمان –الأسلوبية مدخل نظرى دراسة وتطبيق – مكتبة الأداب ٢٠٠٤،ص٢٢٩.

[٤] سورة مريم الاية رقم ٨٨–٨٩

بتطبيق هذا على القصائد المختارة للدراسة، نجد هذه الصورة واضحة في قصيدة «سيسجل التاريخ خستكم» التي كتبها الشاعر في نهاية عام ٢٠٠٨م، حيث قامت عصابات صهيونية بتوجيه من بوش رئيس أمريكا بحرب إبادة فى غزة، استشهد فيها المئات وأصيب آلاف الأبرياء، يقول في مطلعها[١]:

يَـامَنْ تُسَـوّلُ نَفْسُـه فِعْـلَ الطّغَـاةِ مـع العِبـادِ

هَـلاَّ اتَّعَظْـتَ بِمَـا عَلِمْـتَ وكنـتَ ذَا عقـلٍ رَشِـيد

كَلْـبٌ جَبَـانٌ قَـدْ تَجَـرأ نَاصَـرَ الشَّـعْبَ اللّقِـيط

صَـدَرَتْ أَوامِـرُه بِسَـحْق الآمِنِـينَ بِغَـزّة أرضَ الشَـهَيِد

نجد الشاعر ينادى على الطغاة ليعوا ويفهموا ماذا يفعلون بالأبرياء ثم يسخر منهم لأنهم يستخدمون قوتهم على الضعفاء، وهذا من صفات الجبناء فالقوى لا يستقوى على الضعيف، وبتحليل الضمائر هنا نجده استخدم فى البيت الأول ضمير الغائب في "نفسه" الذي يتناسب مع أسلوب النداء الذي ورد قبله (يا من تسول نفسه) والهاء هنا عائدة على الظالم، ثم ينتقل إلى صيغة الخطاب عندما أراد أن يوجه لهم النصيحة التي تتطلب المواجهة والحضور، وذلك في كلمات (اتعظتَ، علمتَ، كنتَ) أي انتقل من الغائب إلى المخاطب لنفس الشخص.

ويتضح ذلك أيضا فى قصيدة «جلعاد وزهر شباب فلسطين»، التي يصور فيها الشاعر عملية تبادل الأسرى التي تمت بين الاحتلال الصهيوني والفلسطينيين، وقد جسد الشاعر هنا مشهدا تاريخيا، وذلك عندما قام الفلسطينيون في كرم أبو سالم بعملية الوهم المتبدد ضد الصهاينة وقاموا بأسر جلعاد مما له من مكانة رفيعة لدى قومه.

فوضعوا شروطا لمقايضته بالأسرى، وحددوا عددا كبيرا من الأسرى الفلسطينيين لدى الصهاينة وتركوا لهم حرية القبول أو الرفض. فقال في مطلعها[٢]:

حَجَـرُ القَـذَارَةِ فـي كَـفِ المِيـزانِ هَـوَى

لـــــلأرضِ مُنْبَطِحَـــــا والـــــذُّلُ يَخْزِيـــــه

يصف الشاعر حالة الجندي الإسرائيلي الذى كان متكبرا يقتل ويضرب حيثما أراد والآن هو مذلول بين أيدينا، ثم قال عنه:

أَلْفَـــا أَسِـــيرٍ مِـــن الشُّـــجْعَانِ مَـــوْزِنُهُم

يَفُـــوُق شَـــاليطَ هَيَّـــا اليـــومَ نُعْطِيـــه

هَـــذَا أَسِـــيرُكُم والعَـــارُ لَطَّخَكُـــمْ

شَـــبَابُنا فـــى غـــدٍ الثَّـــأْرُ يُشْـــجِيه

---

[١] الديوان الثانى ص ٣٤

[٢] الديوان الثانى ص ٣٦

يمجد الشاعر من قيمة شبابنا الفلسطينيين وبأن ألف أسير منهم يفوقون هذا الذى يدعى شاليط، فهو يعتز بأبناء وطنه العربي وبقيمتهم المعروفة على مر العصور، فالعربي لا يُقهر، ولا يجاري شجاعته أحدا.

وإذا نظرنا إلى كلمة (نعطيه) في البيت الأول فنجد استخدم ضمير الغائب للإشارة إلى (شاليط) للتقليل من قيمته، فهو يُعطى حينما نريد، لا إرادة له في ذلك، ثم في البيت الثاني ينتقل إلى الخطاب في كلمة (أسيركم) ويقصد بها شاليط، فالخطاب يعكس موقف الشجاعة، فالشاعر يقف في مواجهة الإسرائيليين ويوجه لهم أشعاره، فمزج بين ضمير الغائب وضمير المخاطب.

مثال آخر من قصيدة «برقية إلى محتضر»، التي كتبها الشاعر بعد موت شارون إكلينيكيا، ورقوده في المستشفى جثة هامدة لا تتحرك، بعدما دنس أرض القدس بثلاثة آلاف جندي يحمونه. فقال[١]:

يَـــا مَـــنْ يُعـــذبُ فـــى الـــدُّنْيَا بـــأخرةٍ

أنْـــــتَ الخَلِيـــــقُ بـــــذمِ الأرضِ تَـــــذْمِيمَا

ذُقْ واحْتَـــرِقْ حِمَـــمُ للغَـــدرِ مُشْـــتَعِلٍ

غِسْـــلِين كَرَّمَـــةُ فـــى الجـــوفِ تَكْرِيمَـــا

الكـــلُّ يَشْـــهَدُ أن النَّـــارَ مَخْلِـــدُهُ

يَهِـــيمُ فيـــها مـــع الشَّيْطَـــانِ تَهْويمـــا

نجد الشاعر في البيت الأول يظهر وكأنه شمتان بشارون، وفرح بما حدث له وكأن الله يريد أن يذيقه ما فعله بالأبرياء فوضعه جثة هامدة؛ ليكون عبرة لمن جاء بعده ولكن هيهات أن يتعظ بنو صهيون.

فيقول له أن يلقى عذاب الأخرة وهو حي في الدنيا، وأن الأرض تلعنه كلها وتذمه فهو كالوباء الذى انتشر فيها كلها.

ثم في البيت الثاني يحادثه بفعل الأمر بغرضه الاستهزاء بما هو فيه الآن، ويقول له ذق بما غدرت بالفلسطينيين وبأرض الله الطاهرة نارًا تأكل جوفك وتحرقه، وفى البيت الثالث يعلن الشاعر للعالم أجمع أن نهايته ستكون في جهنم وبئس المصير مع خليله الشيطان.

وبالنظر إلى الضمائر نجدها في البيت الأول جاءت بصيغة الغيبة بعد أسلوب النداء في (يا من يعذب) العائدة على شارون، ثم انتقل إلى ضمير الخطاب عندما أراد أن يواجهه بما أحدثه من خراب ويعرفه نتيجة تصرفاته الآثمة وذلك في قوله (أنت)، وفى البيت الثاني أيضا في قوله (ذق، احترق). ثم عاد ثانية للغيبة في (مخلده، يهيم) للتقليل من شأنه.

---

[١] الديوان الاول ص ٤١

وفى قصيدة «قلنا ابق ولا ترحل»، حينما أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تنحيه عن منصب الرئاسة، رفض الشعب وقام بمظاهرات تطالبه بالعدول عن هذا القرار، فقال الشاعر قصيدته[١]:

وإذا بناصـــرَ مُعْلِنَـــا قَـــولًا يُزَلْـــزِلُ كَـــلَّ ركـــنٍ للأبـــاةِ السَـــامِعين
قَـــالُوا تَنَحَـــى عـــن حَيـــاةِ الشـــعبِ قُلْنَـــا لا وإنّـــا فِـــي فِـــدائِكَ أجْمَعِـــين
وتَكَـــاثَرتْ صَـــيْحَاتُنَا نَبْكِـــى بـــدمعٍ فيـــه نَـــارُ الخَـــائِفِين الحَـــائِرين

يجسد الشاعر حال شعبه في تلك الفترة؛ حيث خرج الشعب بالآلاف رافضا هذا القرار ويطالب بعودة الرئيس، فيصف في البيت الأول أن الخبر حينما تم إذاعته كان مثل الزلزال على أهل مصر وكلهم رافضون له.

ويقول في البيت الثاني إنهم جميعهم قاموا برفض التنحي مطالبين بالاستمرار، وهم فداؤه بعد محاولة قتله، ويصور في البيت الثالث حالة الشعب الذي بكى من أجل عودته، وامتلأت أرواحهم بالخوف والحيرة مما سوف يأتي من دونه، حيث كانت مكانة ناصر لدى العرب جميعهم كبيرة ومصدر ثقة وأمن واطمئنان لهم.

وظهر المزج في البيت الثاني، وذلك في كلمة (تنحى) بصيغة الغائب العائدة على "عبد الناصر" لتهميش قول من رضي بتنحيه، ثم جاءت كلمة (فدائك) كاف الخطاب، عندما أراد الشاعر بيان مقام الرئيس في نفوس الشعب؛ فتوجه إليه بالحديث.

الصورة الثانية:

المزج بين ضمير المتكلم وضمير المخاطب

يعدل الشاعر في صورة الالتفات هذه، من صيغة التكلم إلى صيغة الخطاب إقتداء بقول الله سبحانه وتعالى: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[٢]، ونطبق ذلك على الشاعر هنا وظهر ذلك في قصيدة «جلعاد وزهر شباب فلسطين»، حيث يقول[٣]:

جُنْـــدِي مـــن الجُـــرْدْانِ جِيَـــئ بـــه لنَـــا

مـــن سَـــاحةِ الحَـــربِ والأبطـــالُ تَعْنِيـــه

غَضِـــبَ اليَهـــودُ وقَـــالُوا جُنـــدنَا ذَهَـــبٌ

لابـــــد نَفْدِيـــــه بـــــالآلافِ نَفْدِيـــــه

ألفّـــا أسَـــيرٍ مـــنْ الشَّـــجْعَانِ مَـــوْزنُهُم

يَفُـــوقُ شَـــالِيطَ هيـــاّ اليـــومَ نُعْطِيـــه

عبـــر الحـــدودِ ونِأْخُـــذْ زَهْـــرَ أَمَّتِنَـــا

مـــن ديـــرِ يَاســـين وفـــي غَـــزة نُنَادِيـــه

---

[١] الديوان الاول ص ٧٤

[٢] سورة يس الأية ٢١

[٣] الديوان الثانى ص٣٦

هـــــذا أسِـــــيرُكُمُ والعْـــــارُ لَطَّخَكُـــــم

شَـــــبَابُنَا فـــــي غـــــدٍ الثَـــــأرُ يُشْجِيـــــه

يبدأ الشاعر بالسرد الخبري في وصف شاليط وجيشه بأنهم جيش جرذان، واستخدم في البيت الأول (لنا) تدل على ضمير المتكلم، ثم عاد واستخدمه في البيت الثاني في (جندنا .. ونفديه ..) ثم في البيت الثالث في (نعطيه) ثم في البيت الرابع في (نأخذ، وأمتنا، وننادي) فصيغة المتكلم هنا تناسب الأسلوب القصصي للقصيدة، ثم يعدل في البيت الخامس ويستخدم ضمير المخاطب فيقول (أسيركم ..و لطخكم) فالشاعر يرد على ما قاله الإسرائيليون مستخدما صيغة المخاطب للتحدي، ثم يعود ثانية إلى المتكلم فيقول (شبابنا) عندما يتحدث عن الفلسطينيين، فالشاعر عبر عن موقفه من هذا التبادل، وأن ما نريده نحن هو استرجاع أبطالنا من بين أيديهم، ولكن هذا الفأر لا يعنينا بقدر ما نهتم بخيرة شبابنا.

وقد ظهر المزج بين ضمير المخاطب وضمير المتكلم في موقف آخر من القصيدة نفسها «جلعاد وزهر شباب فلسطين»، حيث قال[١]:

تَطَـــاوَلُوا وتَنَـــادَوْا لـــنْ نَفُـــكَ لَكُـــم

أسْـــرَى بغيـــرِ شَـــاليط حَيـــثُ نُبْقِيـــه

وسَـــاوَمُوا هـــلْ بـــألفٍ تُطْلِقُـــوه لَنَـــا؟

وأنْ تَزِيُـــــدوا لَكُـــــمْ حَـــــقٌّ نُواتِيـــــه

جاء ضمير المخاطب في البيت الأول متمثلا في كلمة (لكم) العائدة على الإسرائيليين، ثم انتقل إلى ضمير المتكلم في كلمة (نبقيه) يعنى نحن، ثم عاد في البيت الثاني إلى المخاطب وقال (تطلقونه) ثم المتكلم في (لنا) ثم المخاطب في (تزيدوا) وأخيرا المتكلم في (نواتيه). فالشاعر يتوجه بالحديث إلى الجيش الإسرائيلي وهو ما تطلب وجود صيغة المخاطب وصيغة المتكلم بشكل امتزاجي وانتقالي.

وقد ظهر استخدام الشاعر للتبادل بين ضمير المتكلم والمخاطب في قصيدة أخرى هي «قلنا ابق ولا ترحل»، حيث يقول[٢]:

قـالَوُا تَنَحـى عـن حيـاةِ الشَـعبِ قُلنـا: لا وإنْـا فـي فِـدَائِكَ أجَمَعِـين
قُلنَـا ابـقْ لا تَرحَـل وكُـن سَـنداً وسَـدًا تَهـزِمْ فُلـولَ الطَامِعِيـن

يتناول الشاعر موقف تنحي الرئيس جمال عبدالناصر إثر نكسة ١٩٦٧م، ورفض الشعب لتنحيه ومطالبته بالبقاء، ففي البيت الأول استخدم ضمير المتكلم في (قلنا، إنا) للدلالة على كثرة عدد المطالبين بعودة الرئيس، فهو يتحدث بالنيابة عن الشعب، ثم انتقل إلى ضمير المخاطب المتمثل في كاف الخطاب في كلمة (فدائك) عندما توجه بالحديث إلى عبدالناصر.

---

[١] الديوان الثانى ، ص٣٦

[٢] الديوان الاول، ص٧

ثم يعود في البيت الثاني لصيغة المتكلم في (قلنا) والمخاطب في (ابق، لا ترحل، كن) وهؤلاء الثلاثة ضميرهم العائد عليهم هو (أنت)، أراد الشاعر بهذا المزج أن يظهر حب الشعب لناصر بقوله نحن فداؤك أجمعين، وبالفعل قد خلد التاريخ أن جماهير عريضة من الشعب المصري قد نزلت في الشوارع والميادين تطالبه بالتراجع عن التنحي وعدم التخلي في هذا الوقت العصيب عن الحكم، وليكون سندا وسدا في مواجهة الغزاة الطامعين، وهو ما حدث بالفعل؛ حيث تمتع عبدالناصر بشجاعة المناضل والزعيم القوى، وكان فعلا رمزا للأمة العربية بأكملها وليست المصرية فقط.

وفي قصيدة «قذف مدرسة بحر البقر»، حيث يقول[١]:

فَيَـــا أيَّهـــا الأطفـــالُ أنـــتمْ بُـــذُورنَا

أسْـــرَى بغيـــرِ شَـــاليط حَيـــثُ نُبْقِيـــه

وسَـــاوَمُوا هـــلْ بـــألفٍ تُطْلِقُـــوه لَنَـــا؟

سَـــنَغْدُو بِكُـــم جَيشًـــا يَصُـــونُ المَحَـــارمَ

فـــلا تَحْزَنُـــوا إنَ الـــدِّمَاءَ ذَكِيَـــةٌ

سَـــتَرْوِى حُصُـــونَا كـــالقِلاع الصَـــلادِمِ

في هذه الواقعة الأليمة قذفت إسرائيل مدرسة بحر البقر بالشرقية، مما أسفر عن سقوط الكثير من أطفالنا، وشهد البقية على استشهاد أصحابهم، وحينما يرى طفل صديقا يموت أمامه تولد بداخله رغبة في الثأر له، فيناديهم الشاعر هنا ويقول لهم أنتم بذورنا سوف نكون بكم جيشا يكون هو الحمى والحامي؛ فلا تحزنوا فهذه الدماء اليوم ستكون هي نواة النصر بالغد.

وقد عبر الشاعر عن هذا المعني باستخدام المزج الضمائري، ففي البيت الأول ظهر ضمير المخاطب في (أنتم) والمتكلم في (بذورنا) و(سنغدو) ثم انتقل منه إلى ضمير المخاطب ثانية في (بكم) وفي البيت الثاني جاء ضمير الخطاب في (تحزنوا) تقديره أنتم، فالشاعر يتوجه بالخطاب إلى الأطفال ليهون عليهم ما عايشوه من أحداث مأسوية، ثم ينتقل إلي المتكلم ليؤكد أن دورهم مصيري في المستقبل فهم من سوف يحمي الوطن ويدافع عنه.

الصورة الثالثة:

المزج بين ضمير الغائب وضمير المتكلم

يظهر هذا النوع من المزج الضمائري لدى الشاعر فى عدة قصائد منها قصيدة «قد كان ياسر فارسا»، ويتحدث فيها الشاعر عن البطل الشهيد ياسر اليوسي الذى استشهد برصاص الغدر من جانب أحد الشباب الفلسطينيين عند معبر رفح المصري، يقول في مطلعها[٢]:

١-أرداه حُرَاسُـــه فـــي مَعْبَـــر عنـــد الحَـــدُودِ

---

[١] الديوان الثانى ، ص٧٦

[٢] الديوان الثانى ص ٣٢

"رفـحٌ" مـديتنا بهـا حُـبُّ الأبُـوةِ والجُـدُود

٢ـبَوابـةَ فِيهـا النِّظَـامُ مـع العُبـورِ علـى الـدوامِ

الكـلّ مُـؤتنسٌ بهـا أن مِـرَّ مِنْهَـا أن يَعُـود

٣ـلا فَـرْقَ بيـنُهُم فتَصَـرْيحُ الـدخولِ لـه مُبَـاح

ولقَـدْ يُفَـتش كُـلَّ أنظمـةِ المُحَـرمَّ لَـنْ تَسُـود

٤ـوَقَـفَ الشُـجَاعُ مُنْظَمـا أَمْـرَ القيـادةِ بـاحْتِرَام

وقَنابـلُ الأعْـدَاءِ تَسْـقُطَ مِـنْ قَرِيـب ولا سُـجُود

٥ـفَـرَ الجَمِيـعُ تَجَمْهَـروا عِنْـدَ المَعَـابِر لا عُبُـور

إلا لِجَرْحـى أو عَجَـائِز دَمْعُهُـم فَـوْقَ الخُـدُود

٦ـوالغَـدْر فـي نَفْـس الـدَّنِيئ مُخَبـوٌّ تَحْـتَ الثِيَـابِ

ويُوجِّـه الطلقـاتِ أشـرافُ الرجـالِ ولا صـمود

٧ـوَيَخِـر ياسـر مُعْلِنَـا نِلـتُ الشْـهَادةَ يـا رِجـال

فلتَحْرُسُـوا أوطَـانَكم ضـد الخِيَانِـة واليَهُـود

شرع الشاعر منذ بداية قصيدته في استخدام المزج الضمائري، وذلك بين صيغتي الغائب والمتكلم في قوله (أرداه ومدينتنا)، فقد أتى ضمير الغائب في بداية القصيدة (أرداه) حتى يثير فضول القارئ حول الشخصية المتحدث عنها، مذكرا إيانا بقصيدة أبي تمام (هن عوادي يوسف)، ثم أتى بعد ذلك بضمير المتكلم (مدينتنا) مشيرا إلى رفح حتى يؤكد على وحدة الوطن العربي، وأن ما حدث من فعل متطرف تجاه الجندي المصري (ياسر) هو فعل فردي لا يعبر عن الأمة الفلسطينية.

ثم يعمد من البيت الثاني حتى البيت السادس إلى استخدام صيغة الغائب فقط (بينهم، يفتش، تسود، تسقط، تجمهروا، يوجه) التي تناسب السرد الخبري، ثم يعود مرة أخرى إلى المزج الضمائري في البيت السابع، وذلك عندما مزج بين (الغائب والمتكلم) (يخر، ونلتُ)، فالغائب في يخر استكمالا للسرد الخبري السابق، ولكنه عندما أتى إلى لحظة إعلان شهادة الضابط ياسر جعلها بضمير المتكلم حتى يثير عاطفة القارئ ويحرك مشاعره، مشيرا إلى سعادة الجندي في لحظة استشهاده ورغبته فيها وتطلعه إليها فداء لوطنه.

نموذج آخر من قصيدة «جلعاد وزهر شباب فلسطين»، قد ذكرت سابقا مناسبة هذه القصيدة وفهي وصف لمبادلة الأسرى بين الفلسطينيين والصهاينة الغاشمين، أرادوا أن يطلقوا سراح شاليط جندهم بأي عدد من الأسرى الفلسطينيين في مقابله، حيث يقول بها[١]:

أبطـــالُ يَعْـــرُب فـــي الهَيْجَـــاء قـــد خَطَفُـــوا

جَلْعَـــاد مُسْتَسِـــلِمًا والنّـــار فـــي فِيـــه

غَضَـــب اليَهُـــود وقَـــالوا جُنْـــدِنَا ذَهَـــب

لابـــــدَ نُفْدِيـــــه بـــــالآلاف نُفْدِيـــــه

فيصف الشاعر الواقعة ويقول أن شباب العرب قد استغلوا الفرصة التي سنحت لهم وقاموا بأسر هذا الذى يدعى "شاليط" وجعلوه يستسلم لهم ويرفع يديه مذلولا، والنار من حوله تملأه حتى يتذوقها في فمه وحلقه، وجاء البيت الثاني نتيجة للبيت الأول حيث غضب اليهود؛ فجندهم غالٍ عليهم وأرادوا أن يفكوا أسره ولو بألف فلسطيني في مقابله، وهذا من عاداتهم القديمة كما في قول الله تعالى "وإن يأتوكم أسارى تفادوهم".

وقد عمد الشاعر في البيت الثاني إلى المزج الضمائري بين ضمير الغائب في (قالوا) العائد على اليهود، فالشاعر ينقل موقف الإسرائيليين عملية الأسر، وضمير المتكلم فى (جندنا، نفديه) هنا جاء جملة قول بعد (قالوا) فكان لابد أن تأتي الصيغة بضمير المتكلم، ثم عاد ثانية في القصيدة نفسها فيقول:

وتَطَـــاَولِوا وتَنَـــادَوا لـــن نَفَـــكَّ لَكُـــمْ

أسْـــرَى بِغَيـــر شَـــاليطٍ حَيْـــثُ نُبْقِيـــه

وسَـــاوِمُوا هـــل بـــألفٍ تُطْلِقُـــوه لنـــا

وإنْ تَزِيـــدُوا لَكُـــم حَـــقٌّ نُواتِيـــه

يشير الشاعر في البيت الثالث إلى تطاول اليهود كعادتهم، وأنهم لن يفكوا قيد أي أسير إلا بعدما يأخذونه لديهم ويتأكدون من وجوده عندهم، وقد عمد الشاعر إلى التبادل الضمائري للتعبير عن هذا المعني، بين صيغة الغائب في (تطاولوا، تنادوا) ليصف حالتهم، ثم انتقل إلى صيغة المتكلم في (نبقيه) ليعلن تضامنه مع الجانب الفلسطيني، وهو ما ظهر أيضا في البيت الرابع حينما مزج بين نفس الصيغتين (الغائب - ساوموا) و(المتكلم – لنا، نواتيه) للغرض عينه.

ظهر هذا النوع من المزج الضمائري في قصيدة «قلنا ابق ولا ترحل»، التي قيلت فى إعلان "عبد الناصر" لتنحيه عن الرئاسة، قال فيها[٢]:

---

[١] الديوان الثانى ص ٣٦

[٢] الديوان الاول ص ٧٤

قُلْنَــا ابــقْ لا تَرحَــل وكُــنْ سَــنَدًا وسَــدًا تَهْــزِم فُلُــولَ الطَامِعِيــن
فأجَـابَ سَـمعًا قَـد وَعَيـت الـدَرسَ فـي خِطـطِ الـدِفَاع وكُـل سُـبِل الخَـائِنِين

يستخدم الشاعر في البيت الأول صيغة المتكلم باسم الشعب ليؤكد الرغبة العارمة في الرجوع عن قرار التنحي؛ فيقول (قلنا ابق لا ترحل) أي تتركنا في منتصف الطريق بعد الهزيمة الكبيرة نريدك بجوارنا وأن تستجمع قواك وترد كيدهم، وفى البيت الثاني عمد إلى المزج بين صيغة الغائب (أجاب) العائدة على عبد الناصر وصيغة المتكلم (وعيت) ليتحدث بصوت عبدالناصر حتى يؤكد على فهمه للهزيمة التي حدثت وتخطيطه للمستقبل.

أما عن المزج الضمائري في قصيدة «القدس حق لنا»، يقول الشاعر[١]:

الأرضُ تَلْعَــــنِهُم والجَــــوُّ يَحَقِــــرهُمْ

والطَّيْــــرُ تَهْجُــــرُ أعْشَاشًــــا بِهَــــا سَــــلَمُ

والبحــــرُ مــــن غَــــدْرِهم بالنَّــــارِ يَقْــــذِفُنَا

أَشْــــــلاؤُنَا بُعْثِــــــرَتْ وكَأَنَّهــــــا لَمِــــــمُ

في البيت الأول جاء الضمير الغائب في (تلعنهم، يحقرهم) ثم في البيت الثاني متمثلا في (غدرهم) وينتقل إلى المتكلم في (يقذفنا، أشلاؤنا). يصف الشاعر الحالة التي وصلت الأمة العربية بعدما احتلت القدس من قبل الصهاينة، وبالطبع جميع ما في الأمة العربية يكرههم حتى البحر أو الأرض والطير بسببهم يترك عشه، لذلك يطيحون ضرباً من جميع الجهات والقذف بالنار كي يستسلموا، ولكن هيهات، لا جدوى من أفعالهم.

عمد الشاعر أيضا في قصيدة «العدوان الثلاثي على مصر» إلى استخدام المزج الضمائري، حيث يقول[٢]:

حيــــاةُ النَّــــاسِ فــــي الأَكْــــوانِ دَرْسٌ

ومَــــنْ فَهِــــمَ الــــدُروسَ يَعِــــشْ سَــــعِيدا

فكــــم حَفِــــظَ التَــــاريخُ لنَــــا دُوُرسًــــا

وكَــــمْ كَانَــــتْ لَنــــاَ عَهْــــدًا مَدِيــــدا

مزج الشاعر بين ضمير الغائب في البيت الأول المتمثل في هو المستتر في (فهم، يعش) ثم يتنقل في البيت الثاني إلى ضمير المتكلم في (لنا) التي كررها مرتين حتى يشير إلى كثرت الأحداث التي عاشها الشعب المصري.

---

[١] الديوان الثانى ، ص٣٨

[٢] الديوان الاول، ص٧٢

وفي قصيدة «سيسجل التاريخ خستكم»، حيث يقول[١]:

نَحْـنُ الضَّـرَاغِمُ فـي الـدِّفَاعِ الحَـقُّ إن سَـمِعَ النَّـذِير

نَحْـنُ الجَبَـابِرةَ الألـي الحَـقُّ فـي يَـدِهِمْ وَتِيـد

مـن نَسـلِ أحمـد مـن جُـدودِ ضَـمَّهُمْ حِصْـنٌ ودِيـن

يَتَسـامحُون ويَغْفِـرُون لِمَـنْ يُعَانِـد أو يَكِيـد

في البيت الأول بدأ بضمير المتكلم (نحن) وكرره في مطلع الشطر الثاني ليتفاخر بشجاعة العرب وقوتهم، ثم انتقل إلى ضمير الغائب في قوله (يدهم)، ويستمر في استخدام ضمير الغائب في البيت الثاني في قوله (ضمهم، يتسامحون، يغفرون) ليشير إلى أصل العرب وأخلاقهم.

في هذه القصيدة يسرد الشاعر حادثة الاعتداء الغاشم على غزة ،حيث راح ضحيته المئات وأصيب الآلاف من الأبرياء، وهنا في البيتين يفخر الشاعر بأصله وقومه نحن الأسود في الدفاع عن أنفسنا لا نخاف ولا نخشى أحدا، فنسبنا كريم من نسل أحمد (المصطفى عليه الصلاة والسلام) وعلمنا الرسول أن نسامح ونغفر، ولكن ليس كل فعل نغفره فسوف يأتي اليوم الذي نأخذ فيه بثأرنا.

وبهذا العرض نكون قد عرضنا صور الضمائر وأشكالها التي استطاع الشاعر توظيفها في قصائده التي جاءت محملة بطاقة وطنية تفيض بالمشاعر والعواطف الوطنية الجياشة التى عبرت عن شخصية الشاعر الوطنية والقومية ، فهو يمتلك حسا وطنيا عالياً.

[١] الديوان الأول، ص٣٤

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

أ- القرآن الكريم.

ب- دواوين الشاعر

الديوان الأول:- بصائر الفؤاد بعد السبعين، وتم نشره فى مايو ٢٠٠٧م.

الديوان الثانى:- همس الأحداث فى وجدانى، وتم نشره فى أغسطس ٢٠١٠م.

الديوان الثالث :- نسمات السحر، تحت الطبع وبحوزتى عدد من قصائده.

ثانيا: المراجع

١) ابن طباطا العلوى، عيار الشعر،دار الكتب العلمية، بيروت.

٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

٣) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، المؤسسة المصرية العامة (مصور عن طبعة دار الكتب).

٤) أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب، قواعد الشعر، تحقيق د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٩٥م.

٥) أبو هلال العسكرى، كتاب الصناعتين، تحقيق على محمدالبجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٢م.

٦) أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، السنة المحمدية، ١٩٥٥م.

٧) المبرد، الكامل فى اللغة والأدب، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط٢ ،١٩٩٢ م.

٨) أحمد أحمد بدوى(د)، أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٦ م.
٩) أحمد درويش (د)، دراسة الأسلوب بين التراث والمعاصرة، دار غريب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٠) أحمد محمد الحوفي، وطنية شوقي، الهيئة المصرية للكتاب، ط٤، ١٩٧٨م.
١١) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٨م.
١٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان.
١٣) حسن البنداري (د)، الأداء التبادلي فى الشعر العربي المعاصر، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٠ م.
١٤) ــــــــــــ ، أساليب علم المعاني بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، ط ٢، ٢٠٠٩ م.
١٥) ــــــــــــ ، تجليات الإبداع الأدبي (دراسات في الشعر والقصة والمسرحية)، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠٢ م.
١٦) د/ حلمى محمد عبد الهادى: الهادي فى قواعد اللغة العربية – دار الفكر العربي ١٩٨٧ ص ٣٧.
١٧) د/محمد عبدالمطلب : منورات شعرية – دار الشروق ١٩٩٦ ص١٦.
١٨) د/ فتح الله أحمد سليمان – الأسلوبية مدخل نظري دراسة وتطبيق – مكتبة الآداب ٢٠٠٤ ص ٢٢٩.